

## الاحتلال الفرنسي لتلمسان 1842م -قراءة في آثار الغزو والممارسات الاستعمارية-

## French Occupation of Tlemcen 1842 -A Reading in the Effects of Invasion and Colonial Practices

عبد الرحمان بن بوزيان

جامعة تلمسان (الجزائر)، [abderrahmane.benbouziane@univ-tlemcen.dz](mailto:abderrahmane.benbouziane@univ-tlemcen.dz)

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/07/09

تاريخ الاستلام: 2025/01/27

**الملخص:** شهدت الحياة العلمية والفكرية بمدينة تلمسان نهاية العصر الحديث تراجعاً كبيراً مقارنة بما كانت عليه خلال العصر الوسيط من إزدهار، ومرد ذلك إلى الاحتلال الفرنسي لها على مرتين، الأول سنة 1836م، والثاني سنة 1842م، أين انتهى بخراب المدينة الذي نتج عنه تغير كبير في ملامح التركيبة السكانية للمدينة نتيجة هجرة أهاليها والاستيطان الأوروبي، وتدمير عديد المدارس والمساجد، ومصادرة الأراضي وأموال الأوقاف، وفرض القيود على تنقل العلماء، فكيف أثرت السياسة الفرنسية المنتهجة على الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في المدينة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟

وللإجابة على ذلك اتبعنا أسلوب البحث التاريخي الذي يعتمد على جمع المادة التاريخية المتعلقة بالموضوع من مصادرها الأصلية، وقراءتها، ثم تحليلها، وصولاً إلى استنتاجات علمية دقيقة وموضوعية.

**كلمات مفتاحية:** تلمسان، الاستعمار الفرنسي، التنصير، التجنيد الإجباري، الهجرة.

**Abstract:** Scientific and intellectual life in the city of Tlemcen witnessed a significant decline at the end of the modern era compared to the prosperity it had experienced during the medieval period. This regression was due to the French occupation of the city on two occasions — the first in 1836 and the second in 1842 — which ultimately led to the destruction of the city. This destruction caused a major shift in the demographic structure due to the migration of its original inhabitants and the settlement of Europeans, along with the destruction of many schools and mosques, the confiscation of lands and endowment properties (waqf), and the imposition of restrictions on the movement of scholars.

This raises the following question: How did the French colonial policy affect the political, cultural, and social conditions in the city during the 19th century and the beginning of the 20th century?

To answer this question, we adopted the historical research method, which is based on collecting historical material related to the topic from original sources, reading and analyzing it, in order to reach accurate and objective scientific conclusions.

**Keywords:** Tlemcen; French colonialist; Christianize; Compulsory recruitment; Immigration.

المؤلف المرسل: عبد الرحمان بن بوزيان، الإيميل: [abderrahmane.benbouziane@univ-tlemcen.dz](mailto:abderrahmane.benbouziane@univ-tlemcen.dz)

## 1. مقدمة:

عرفت تلمسان ازدهارا حضاريا وفكريا طوال فترات العصور الوسطى، وازدادت تطورا في عهد حكم بنو عبد الواد الزيانيين، فأصبحت محل أطماع الدول والملوك، فتنافسوا عليها، ومما زاد من أهميتها موقعها الاستراتيجي الهام، الذي يمثل حلقة وصل بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق الإسلامي، ووقعها على أهم طريق تجاري كان يربط دول الصحراء بجنوب أوروبا.

كما كانت تلمسان على مر الأزمنة اللاحقة مفتاحا لمن يطمع في احتلال المغرب الأوسط - الجزائر، وهي لا تعد فقط من بين أحد أهم المناطق الرئيسية بالنسبة للجهة الغربية للجزائر، بل الجزائر كلها، هذه المكانة الهامة جعلت منها هدفا للفرنسيين بعد سقوط مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي، الذين ادعوا بأنهم محررين للسكان من هيمنة الأتراك العثمانيين لا مستعمرين.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بآثار الاحتلال الفرنسي لحاضرة تلمسان بشكل خاص والجزائر ككل، من خلال الوقوف على المظاهر المختلفة للسياسة الاستعمارية الفرنسية وما نتج عنها من اضمحلال وخراب واندثار لحاضرة علمية عريقة، فبالرغم من تعدد حواضر وعواصم الجزائر التاريخية عبر العصور والتي بدورها تعرضت إلى الطمس والإهمال من قبل جنود الاحتلال الفرنسي، على شاكلة تدمير بغداد على يد المغول، إلا أنني خصصت هذه الدراسة لحاضرة تلمسان كنموذج لعينة الدراسة، باعتبارها آخر عاصمة سياسية للجزائر قبل دخول الأتراك العثمانيين، وعليه نطرح الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى أثرت السياسة الفرنسية المنتهجة على الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في مدينة تلمسان خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟ ولإجابة على هذه الإشكالية تعرضت بداية إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي لتلمسان والفوضى التي حلت بالمنطقة كلها، مؤكدا على حجم المقاومة الوطنية لها بمختلف أشكالها، سواء المقاومة الوطنية المسلحة أو المقاومة الفكرية والهجرة، ثم تعرضت إلى الآثار السلبية التي خلفها الاستعمار خاصة ما يتعلق بالثقافة والهوية العربية الإسلامية، باعتبار تلمسان كانت رمزا للثقافة العربية الإسلامية قبل دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر.

جلبت مدينة تلمسان خلال هذه الفترة اهتمام عديد الكتاب الفرنسيين من عسكريين وإداريين ومؤرخين، فمن الفرنسيين أذكر أندري لوكوك "André Lecocq" من خلال نشره لدراسات عديدة حول التوسع الفرنسي في تلمسان وطبيعة تنظيم الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالمدينة "L'occupation de Tlemcen en 1836" وأيضا

*Histoire des Débuts de la Colonisation dans la Subdivision de Tlemcen 1842-1870*

كما وجب الإشارة إلى الدراسات التي أعدها شارل بروسلاز "Charles Brosselard" رئيس الفرع الإداري لتلمسان 1852-1854 ورئيس بلديتها ما بين 1854-1858م، حيث درس الآثار الرومانية والإسلامية بتلمسان، وأعد عديد الدراسات عن التاريخ الحضاري لتلمسان نشرها في المجلة الإفريقية.

وبالرغم من تعدد كتابات الفرنسيين عن مدينة تلمسان إلى أنها حاولت في مجملها ربط المدينة بتاريخها الروماني، ففي نظرهم أن التغييرات العامة الناتجة عن السياسة الاستعمارية في المدينة تعتبر إصلاحات كفيفة بإعادة مجد بوماريا الضائع، لكن هي في الحقيقة محاولات لطمس الهوية العربية الإسلامية للمدينة، فالمدارس والمساجد ودور العلم التي خربت وحولت إلى مقرات إدارية وعسكرية شاهدة إلى اليوم عن حجم الأثر الذي خلفه الاستعمار الفرنسي بالمدينة بشكل خاص والجزائر ككل بشكل عام.

## 2. مرحلة الاحتلال والفوضى:

أعطى الفرنسيون لمشروع احتلال تلمسان أهمية خاصة خصوصا بعد سقوط مدينة الجزائر، أين كان لصالح الفرنسيين تدخل سلطان فاس في تلمسان ولو إلى حين، وذلك خوفا من تجدد انبعاث دولة بني زيان من جديد، ولما أتيحت الفرصة للفرنسيين قام الجنرال دامريمون Damremont في شهر فيفري بإرسال العقيد أوفراي Auvray إلى السلطان المغربي لمطالبته بعدم التدخل، (تلمساني، 2004-2005، صفحة 127) وبناء على ذلك انسحبت محلة السلطان عبد الرحمان من تلمسان بموجب الكتاب المؤرخ في 8 مارس 1831، (التميمي، أبريل 1976، صفحة 34) لتدخل بعدها تحت حكم دولة الأمير إلى غاية 1836، (خليفة، 2000، صفحة 201)

أصبحت تلمسان من أهم المقاطعات الأربع في دولة الأمير ما بين 1832-1837، أين حملت لواء الجهاد بقيادة محمد البوحميدي الولهاسي، (Roches, 1884, p. 21) كما أنشأ بها الأمير عبد القادر عدة ورشات لصناعة الأسلحة، واتخذ من قلعة المشور بتلمسان سنة 1835 مقرا لحكمه بعد سقوط معسكر في ديسمبر 1835، (سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، 1992، الصفحات 196-197) غير أنه سرعان ما شنت القوات الفرنسية بقيادة كلوزيل حملة عسكرية في 13 جانفي 1836 انتهت باحتلالها، (Pellissier, 1836, pp. 111-195) وذلك بمساعدة كبيرة من كراغلة تلمسان، وبعد إبرام معاهدة التافنة بتاريخ 30 ماي 1837 تنازل عنها الجنرال الفرنسي بيجو للأمير عبد القادر، هذا الأخير الذي كان مصرا على استرجاع تلمسان وذلك نظرا لما تمثله كعاصمة تاريخية وكحاضرة علمية عريقة، كان الأمير يرى فيها مشروعا هاما لبعث دولته من جديد، فكانت تمثل ثاني أهم مدينة بالنسبة إليه بعد معسكر التي سقطت في يد الفرنسيين، كما كانت بالنسبة إليه ممرا هاما نحو

المغرب الأقصى قبل أن تتوتر العلاقة مع سلطانه، وعلى ما يبدو أن الأمير قد أدرك أهميتها أكثر خاصة بعد الهجوم الأول للفرنسيين على معسكر 1835. (Lecocq, L'occupation de Tlemcen en 1836, 1936, pp. 644-663)

إن التحاق الجنرال بيجو بالجزائر كحاكم عام بتاريخ 23 فيفري 1841 جعله يركز حملاته العسكرية على مراكز القوة والسيادة في دولة الأمير عبد القادر، (م.و.ب. ح.و.ث. أول نوفمبر، 2002) حيث بدأ باحتلال وتخريب عاصمة الأمير تاقدامت في 25 ماي 1841، وقام الجنرال بيدو Bedeau باحتلال مدينة تلمسان في فيفري 1842، (تلمساني، 2004-2005، الصفحات 200-201) ثم احتلال حصن سبدو Sebdu، (المدني، 1963، صفحة 203) هذا الأخير الذي استطاع أن يضيق الخناق على الأمير ويلاحقه، لا سيما على الحدود المغربية بإخضاعه لقبائل ندرومة وتوارة، - (Lecocq, L'occupation de Tlemcen en 1836, 1936, pp. 644-663) وجامع الغزوات. (Francis, 1948, p. 13)

هذا إذن هو الوضع الذي آلت إليه تلمسان، بعدما عرفت خلال الفترة الممتدة ما بين 1830-1942 تجاذبات عدة، ذلك الوضع أثر بشكل كبير على طبيعة تركيبها البشرية والعمرانية، وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله حين ذكر بأنه عند احتلالها كانت مخربة، فمختلف الضغوط والحروب التي واجهتها بين قوات الأمير عبد القادر وقوات الفرنسيين من جهة، وقوات الأمير وقوات الحزب العثماني من جهة أخرى، أفقدها تماسكها. (سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، 1992، صفحة 108)

لقد أصبحت تلمسان بعد احتلالها مركزا عسكريا جدهام، حيث حظيت باهتمام كبير من الحاكم العام بيجو، الذي ساعده الجنرال لاموريسيير القائد العسكري لمقاطعة وهران في إنشاء العديد من المدن الاستيطانية مثل: برية Bréa، والنقريي Négrier، والصفصاف Saf-Saf، ومنصورة Mansourah، والحنايا Hennaya، وإقامة مراكز عسكرية في كل من وسبدو ومغنية Marnia، (Dictionnaire, S.D, p. 104) وبخصوص مدينة تلمسان طالب الجنرال ماك ماهون Mac-Mahon من وزارة الحرب بإرسال مخطط للمدينة الجديدة، الذي من خلاله تم تغيير الملامح العربية الإسلامية ابتداء من شهر جويلية 1851. (Cardonne, Sd, p. 13)

### 3. تدمير المؤسسات التعليمية والدينية:

إن التعليم العربي الإسلامي الحر عند الجزائريين الذي كان منتشرا في تلمسان قبل 1830، كاد أن ينقرض تقريبا في فترة الاحتلال، (أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، 2007، صفحة 581) فكم هي كثيرة تلك المؤسسات الدينية والتعليمية التي حولت وهدمت، أو أعطيت للجيش أو بيعت كأماكن للأوربيين

يتصرفون فيها، ولم تقف عند ذلك الحد فقط، بل قامت الإدارة الاستعمارية منذ الوهلة الأولى بالسيطرة على الأوقاف الإسلامية، لتضرب بذلك معاهدة الاستسلام عرض الحائط، تلك المعاهدة التي تعهد فيها قائد الحملة الفرنسية الكونت ديبورمون De Bourmont كتابيا باحترامه لمقدسات الإسلام في الجزائر المادية منها المعنوية. (خوجة، 1982، الصفحات 269-293)

ولإعطاء صورة عن حقيقة ذلك الواقع المؤلم الذي آلت إليه مراكز التعليم والثقافة العربية الإسلامية، نذكر ما آل إليه جامع أبي الحسن بتلمسان الذي حوله الفرنسيون إلى متحف، أين جمعوا فيه كل القطع الفنية والأثرية، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، صفحة 108) وقد تحدث أيضا شارل بروسلاز Charles Brosselard (Abadie, 1994, p. 122) عن مصير جامع سيدي بوجمعة في تلمسان، مؤكدا أنه كان له أوقاف هامة، وقد استولى عليه الفرنسيون وضموه إلى أملاك الدولة الفرنسية، حيث وزعت أوقافه على عدد من الكولون، (Brosselard, 1860, p. 258) كما استولى الفرنسيون على الأراضي التابعة للجامع الكبير. (Marçais, 1903, pp. 16-140)

يجب هنا التأكيد على أن موقف الفرنسيين من التعليم العربي الإسلامي الحر منذ البداية كان جد واضح، وليس كما تبرره بعض كتابات المؤرخين الفرنسيين بأنه كان تماشيا مع المتطلبات العسكرية للحملة فقط، فتصريحات السياسيين والعسكريين الفرنسيين منذ الاحتلال تؤكد على ذلك، وقد جاء في أحدها ما يلي: "...علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حطمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة...". فالطمس والهدم للمدارس العربية التي كانت موجودة آنذاك بتلمسان كان واضحا دون أي مبرر، ومثال ذلك ما لحق بالمسجد الجامعة "التاشفينية" عام 1873، (الميلي، 1986، صفحة 491) الذي تعرض للهدم الكلي بحجة بناء ساحة عمومية، ثم ليبنى عليه مقر البلدية. (صاري، 2007، صفحة 9)

#### 4. إنشاء المدارس الفرنسية وتكوين النخب الفرنسية:

لقد لعب التعليم العربي الحر دورا كبيرا في إيقاظ الشعور الوطني للجزائريين، باعتباره عامل بناء ودعم لكيان الشخصية الجزائرية، ودعامة لفكرة القومية العربية والإسلامية، بالإضافة إلى كونه وسيلة أساسية في ترسيخ عناصر المقاومة الوطنية بمختلف أشكالها في نفوس الأهالي، لذلك عمدت إدارة الاحتلال إلى وضع بدائل لسلخ المجتمع الجزائري عن ثقافته العربية التي كان التعليم العربي الحر فيها من أبرز ركائزها، وتمثل البديل في تطبيق سياسة تعليمية تعمل على فرنسة الفرد الجزائري بكل الوسائل المتاحة، (بوضرساية، 2004-2005، صفحة 122) وتجسيدا لذلك عمل الفرنسيون بمبدأ بناء مدرسة فرنسية أفضل من فيلقين لإقرار الأمن، وبموجب مرسوم 30 جويلية 1850 تم

إنشاء المدرسة العليا بتلمسان-ثانوية التعليم الفرنسي المسلم (B.A.A, Lycée Franco-Musulmane- Novembre 1957, p. 78) والمسماة أيضا بالمدرسة الشرعية، أين قامت بتكوين دفعات من الطلبة متشبعين بالثقافة الفرنسية، وملمة بالعلوم واللغة ومبادئ القانون المدني والجنائي والإداري الفرنسي، وقد اتخذ الفرنسيون منها أداة لدمج الجزائريين في البوتقة الفرنسية، ويتضح ذلك من خلال مجموعة من المستشرقين الذين أشرفوا على إدارتها أمثال ماشويل، وديلفان، وموليراس، وألفريد بال، وقد أشرف على التعليم بها مجموعة من المترجمين أمثال بيلار Pilard، وريكات Ricat، وأسائدة اللغة الفرنسية ديسيو Decieux، وديستانغ Destaing، وريندامك Rindemk، وإدمان دوتي E.Doutté، Marçais W. (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، الصفحات 141-167).

لقد حاول هؤلاء الأساتذة خلق نخب مرتبطة مع فرنسا في الفكر والثقافة، حيث ركزوا اهتمامهم على إهمال التاريخ الإسلامي، وإعادة دراسة الماضي المرتبط بأوروبا، كما سعوا من خلال ذلك إلى خلق مدرسة تاريخية فرنسية اهتمت بتاريخ وعمران تلمسان، ونجد من بين روادها البارون ديسلان De Slane الذي اهتم بنشر الآثار العربية، حيث نشر مجموعة من الكتب مثل "وصف أفريقية لابن حوقل" و"رحلة ابن بطوطة"، كما كلف من قبل الحكومة الفرنسية في 1843-1845 بجمع المخطوطات ذات الأهمية من الجزائر، وخلال إقامته بها ترجم "تاريخ ومقدمة ابن خلدون"، وخلال سنة 1863 أعطيت له رخصة لتدريس العامية الجزائرية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وأوكلت له مهمة الإشراف على جريدة المبشر لسنوات عديدة، وقد سميت على اسمه المدرسة الموجودة بشارع العقيد لطفي حاليا -الشارع الوطني وقت الاحتلال- والذي تحولت فيما بعد إلى ثانوية، والتي حملت بعد الاستقلال اسم متوسطة ابن خلدون، (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، الصفحات 70-71) ومن بين الذين اهتموا باللغات العربية في شمال إفريقيا نجد وليام مارسلي الذي عين في سنة 1898 مديرا للمدرسة الشرعية بتلمسان، والذي تميز بعمله المعنون بـ "قرن من الأبحاث في ماضي الجزائر الإسلامية" وذلك بمناسبة مرور مائة سنة على احتلال الجزائر 1930، وله دراسة أخرى حول "le dialecte Arabe parlé de Tlemcen 1902"، كما نشر أيضا مجموعة من المقالات في المجلة الإفريقية، (بدوي، 1993، صفحة 547) كما اهتم أخوه جورج مارسلي بدراسة تاريخ وآثار تلمسان، حيث قدم مع أخيه عملا مشتركا سنة 1903 تحت اسم "les Monuments Arabes de Tlemcen"، وله كذلك "Remarques sur les médersas funéraires à propos de la ville d'art et d'histoire Tlemcen 1937"، و"Les villes d'art célèbres Tlemcen 1950"، ونشر عدة بحوث منها "Tlemcen Société des Amis du Vieux de Tlemcen سنة 1952"، وله أيضا

دراسة أخرى رفقة Martino في 1929 نشرها في المجلة الإفريقية حول "محمد بن شنب 1869-1929".  
(Brochier, 1937, p. 212)

لقد عمل هؤلاء على دراسة تاريخ وآثار ولهجات المجتمع التلمساني لتثبيت عملية الغزو كمرحلة أولى، ثم إلى محاولة هدم شخصيته العربية الإسلامية لتغيير معتقداته، (مهديد، 2003-2004، صفحة 113) وقد تنوع المهتمون بتاريخ تلمسان ليشمل أيضا رجال الدين، وأبرزهم القس بارجيس Bargès الذي ترجم إلى الفرنسية كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان للإمام أبو عبد الله التنسي سنة 1852، وألف أيضا كتاب " Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume 1856 (بدوي، 1993، صفحة 64) ورينيه باصيه R.Basset، الذي نشر سنة 1901 كتاب "ندرومة وترارة". (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، الصفحات 29-32)

لقد سعت فرنسا إلى تعزيز هذا النوع من التعليم بإنشاء العديد من المدارس الابتدائية، مثل مدرسة ديسو 1872 Décieux، ومدرسة المحطة La Gare، وكوليج ديسلان 1882 De Slane بمدينة تلمسان، أما خارج المدينة وفي بلدية سبدو كان هناك مدرسة دوار العربيين 1902، ومدرسة الثلاثاء 1902، وفي بلدية ندرومة افتتحت مدرسة في دوار أولاد زيري 1910، وفي بلدية مغنية هناك مدرسة دوار الكاف 1909، ومدرسة دوار الخميس 1905، ورغم انتشار المدارس في كامل أنحاء المقاطعة، إلا أنها لم تكن قادرة على منح التعليم الذي كان يرغب به الأولياء، والجدول التالي يوضح ذلك -عدد المتدربين 1895. (Réformes, 21 juin 1946, pp. 1-2)

| الفرنسيين | الأجانب | الجزائريين | المجموع |                            |
|-----------|---------|------------|---------|----------------------------|
| 61        | 465     | 313        | 839     | بني صاف                    |
| 113       | 40      | 100        | 253     | الحنايا                    |
| 104       | 131     | 105        | 340     | لاموريسيير - أولاد ميمون - |
| 143       | 90      | 154        | 387     | نمور - الغزوات -           |

الجدول 1: عدد المتدربين في المدارس الابتدائية في مقاطعة تلمسان سنة 1895م

من خلال الجدول يتضح أنه بالرغم من صدور العديد من المراسيم المتعلقة بتنظيم التعليم الخاص بالجزائريين وفق ما تقتضيه المصلحة الاستعمارية كمرسومي 188 الذي نص على إلزام البلديات بفتح المدارس

مجانا للأطفال الأوروبيين وللأهالي على حد سواء، بالإضافة إلى علمانية التعليم وضمان حرية الفكر عند التلاميذ، وإحداث شهادة الدراسات الأهلية (G.G.A, 1893, pp. 108-116) فإن التعليم بتلمسان ظل ناقصا ولم يشمل إلا فئة قليلة من الأطفال، حتى وإن شمل تأسيس المدارس بين البلديات ذات السلطات الكاملة والبلديات المختلطة بموجب مرسوم 18 أكتوبر 1892، (G.G.A, 1893, pp. 1364-1378) إلا أن التعليم الابتدائي بقي يعاني مشكل قلة التلاميذ الجزائريين. (حلوش، 2010، صفحة 159)

كانت رؤية الفرنسيين للتعليم العربي في الجزائر سلبية، وذلك تماشيا مع الأهداف المسطرة منذ الاحتلال، فالمدرسة وجودها كان بالدرجة الأولى لخدمة فرنسا الاستعمارية، ذلك ما يتضح من خلال تصريحات جول فيري Jules Ferry وزير التعليم الفرنسي الذي صرح سنة 1883: "...إن المدرسة تعتبر سلاحا ماضيا، في التغلب على الروح الوطنية الجزائرية ظن التي أدت إلى اشتعال الثورات المتوالية في وجه الاستعمار الفرنسي في الجزائر...". (تركي، 1981، صفحة 135)

## 5. عمليات التنصير:

إن تجريد التعليم العربي الحر من أهم موارده الأساسية مهد لوضع حجر الأساس لعملية الشروع ببدء عملية التنصير والفرنسة، فالفرنسيون فهموا أن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها، فسارعوا مباشرة إلى تأسيس أسقفية الجزائر سنة 1938، التي عمل منها بعض المنصرين أمثال المطران ديبيش Archevêque Dupuch على بعث الثقافة الدينية الفرنسية، عن طريق إحياء كتابات القديس أوغسطين والقديس سبريان وغيرهما، بالإضافة إلى دراسة تاريخ وآثار الكنائس القديمة بإفريقيا الرومانية بهدف إثبات الماضي المسيحي. (بقطاش، 1999، صفحة 57)

كانت تلمسان تمثل عاصمة الثقافة الإسلامية ليس في المغرب الأوسط وحده وإنما المغرب الإسلامي كله، ذلك ما جعلها محل اهتمام رجال الدين الفرنسيين الذين سعوا إلى إعادة المسيحية إليها، وتماشيا مع مخططاتهم قام الأسقف ديبيش في شهر أبريل 1845 بتدشين كنيسة بتلمسان مكان جامع المشور، حيث لم يكن مصيره مختلفا عن مساجد الجزائر الأخرى، فقد حول إلى كنيسة وتم نزع سقفه وتجديده على هيئة كنيسة، وأزيلت القبة المتوقع وجودها في المبنى الأصلي، واستحدثت بدلا منها ثلاث أبهاء علوية مقوسة على شكل حدوة الحصان من الشرق إلى الغرب، واحد في الوسط بين السواري، والثاني والثالث على اليمين واليسار بين الجدران والسواري، (بوزيان، 12-13 ماي 2015، الصفحات 47-53) ثم جعلوه مخزنا للمستشفى العسكري الذي أقيم بقلعة المشور، (Lecocq, 1940, p. 50) وقد حضر معه الأب بارجيس (بدوي، 1993، صفحة 547) الذي جاء

خصيصا من باريس لحضور الاحتفال، وقد أشاد هذا الأخير كثيرا بجهود الأسقف في إعادة الكنيسة الإفريقية بعد انقطاعها لستة قرون، ولم يتورع في هذه المناسبة على أن يسمي أرض الإسلام في تلمسان بـ"الأرض الكافرة"، وأن يسمي الرسول صلى الله عليه وسلم بـ"النبي المزيف". (بوزيان، 12-13 ماي 2015، صفحة 47)

اهتم جهد المنصرين بالخصوص على الأطفال اليتامى والفقراء لمرونة عقولهم الصغيرة، (وعلي، 2009، الصفحة 86) ومن أجل ذلك قام الكولون بإنشاء العديد من المدارس الدينية المسيحية لأبنائهم في تلمسان، فعلى سبيل المثال نجد هناك مدرسة دينية بالنيقري (Lecocq, Histoire des Débuts de la Colonisation dans la Subdivision de Tlemcen 1842-1870, 1941, p. 210) أنشأتها ريلود ماري Rabiloud Marie في سنة 1856، وقد سجل عدد المتمدرسين بها آنذاك حوالي 32 طفل، وهو نفس العدد الذي سجل في 1862، ما يبين رفض الأهالي لهذا النوع من التعليم، وأغلب الأطفال المسجلين كانوا من أبناء الأوروبيين، (Lecocq. Histoire des, 1941, p. 120) وفي 1852 أسست مدرسة أخرى بالحنايا Eugène Etienne يديرها روكيلان Roqueplan الذي كان مدرسا بمدرسة الغزوات. (Lecocq, Histoire des Débuts de la Colonisation dans la Subdivision de Tlemcen 1842-1870, 1941, p. 172)

#### 6. قانون التجنيد الإجباري وهجرة أهالي تلمسان:

لقد عبر أهالي تلمسان منذ الوهلة الأولى عن رفضهم للاستعمار الفرنسي وسياسته، واستعملوا عدة طرق سلمية للتعبير عن ذلك، وكانت العرائض إحدى هذه الوسائل التي عبرت عن سخطهم وتذمرهم من السياسة الفرنسية المنتهجة، ذلك ما عبر عنه أهالي تلمسان في 7 أبريل 1891م حينما بعثوا بعريضة عارضوا فيها سياسة التجنيس ومشروع التجنيد، وطالبو من وزير الحربية باحترام تعهدات سلفه، وباحترام عقيدتهم وشريعتهم وممتلكاتهم، ونذكر مما جاء فيها: "...ونحن بمسلكنا هذا قد أوفينا بجميع التعهدات التي التزم بها أجدادنا إزاء فرنسا عند الاستسلام، على أمل الاحتفاظ بحرية عقيدتنا التي لا يمكن فصلها على كل حال عن نظامنا الاجتماعي، وحسب الحكمة الدارجة، فالحياة الدنيا هي عماد الدين.."، (قنان، 2009، الصفحات 210-241) وأمام فشل المقاومة الشعبية، وتغنت الإدارة الاستعمارية ورفضها لأي إصلاح سياسي أو إداري، وانقطاع سبل التواصل معها، فإن الحل الأخير والذي كان مطروحا خلال تلك الفترة هو الهجرة نحو الخارج، وتعد هذه الظاهرة مظهرا من مظاهر الاحتجاج ضد النظام الاستعماري الكولونيالي بمؤسساته الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبكونها شكلا من أشكال المقاومة الوطنية ضد الواقع المعاش خلال الفترة الاستعمارية إجمالا وإلى غاية العشرية الأولى من القرن العشرين، (مهديد، 2003-2004، صفحة 140) وإذا كان ظاهرها في بدايتها من أجل الذود

عن العقيدة إلا أنها أصبحت فيما بعد سلاحا سياسيا في يد الجزائريين. (أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، 2008، الصفحات 373-374)

لم يكن التجنيد في أول الأمر إجباريا، بل كان يعتمد على التطوع مقابل أجر، وأمام تزايد النزعة الاستعمارية لفرنسا وظهور الأزمة المغربية 1906 تزايدت حاجة فرنسا إلى المجندين، وقامت بتعيين لجنة للتحقيق في إمكانية تطبيق الخدمة العسكرية على الجزائريين عام 1907، وتبعها إصدار مرسوم 17 جويلية 1908 القاضي بإحصاء الشبان الجزائريين البالغين 18 سنة، ومع توتر العلاقات الأوروبية سارعت فرنسا إلى إصدار مرسوم التجنيد الإجباري في 3 فبراير 1912 يقضي بتجنيد الشبان الجزائريين لثلاث سنوات مع البقاء في فرق الاحتياط لمدة سبع سنوات بعد الانتهاء من الخدمة، وبموجب ذلك شارك الجزائريون في الحرب العالمية الأولى، وتم إقحامهم فيها إثر إصدار السلطات الفرنسية لقانون التجنيد الإجباري عام 1912 الذي نتج عنه عمليات تجنيد واسعة في أوساط الشباب المسلم. (نوئي، 1984، صفحة 413)

لقد خلف هذا القانون موجات هجرة عديدة في مختلف أنحاء الجزائر قبل وبعد إصداره، ولكن الهجرة الحقيقية المشهورة كانت من مدينة تلمسان، حيث أثار الإعلان عن الإحصاء المتعلق بالتجنيد العسكري عام 1908، وقبله في سنة 1907 بتلمسان أين عرفت حركة هيجان حقيقية في الأوساط المسلمة خوفا من تعبئة أبنائهم ضد إخوانهم في المغرب الأقصى، حيث تذكر المصادر أنه في 19 ديسمبر 1908 احتشد حوالي 2000 متظاهر أمام مبنى دائرة تلمسان، ولم يتفرقوا إلا بعد استقبال ممثليهم، وأمام هذه الظروف تدفقت طلبات جوازات السفر التي بلغت 321 طلب (مهديد، 2003-2004، الصفحات 141-142) كما تذكر المصادر التاريخية أنه في سنة 1911 غادرت أكثر من ألف ومائتي عائلة من المدينة القديمة واتجهت نحو سوريا، وفي نفس السنة قامت هجرات أخرى لتشمل كل من سكان صبرة، وندرومة، والرمشي (Montagnac, 1913, p. 372) وسبدو، وقد مست عملية الهجرة كل من الكراغلة والحضر معا، ومختلف الطبقات الاجتماعية، فالتقارير الصادرة عن المجلس العام لوهران 1911 تذكر بأن 508 كرجلي كانوا مستعدين للرحيل، كما أنه بالرغم من الفقر قام التلمسانيون ببيع منازلهم وأراضيهم، وكان من بين المهاجرين أعيان وأفراد من عائلات ثرية مثل قايد منطقة أولاد الشولي (C.M Sebdu) "الخضر" الذي هاجر مصطحبا معه 27 شخصا من أفراد عائلته. (l'Exode, 1911, pp. 1-17)

وأمام الصدمة التي وقعت على السلطات الفرنسية من هذا الحادث، أمرت بوقف الهجرة وغلق الحدود الجزائرية مع المغرب، وقد عين الحاكم العام لجنة لدراسة الوضع، وذلك بعدما تلقت الحكومة العامة بالجزائر لعدد

العرائض من بلديتي تلمسان ووهران المطالبة بمعالجة الوضع والتحقيق فيه، وتشكلت اللجنة ترأسها النائب المالي باربودات Barbedette، حيث قدمت تقريراً مفصلاً حاولت البحث فيه عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء الهجرة. (Exode، 1911، الصفحات 18-49)

إن أرقام المهاجرين من تلمسان كبيرة جداً، وهي تعبر عن مدى التذمر جراء السياسة الفرنسية المطبقة منذ الاحتلال، ويقول شارل روبيير أجرون أنه منذ عامي 1907 و1908 وخلال إجراء مناقشات حول مشروع التجنيد غادر دائرة تلمسان 140 شاباً، وحاول 526 شخص بمغادرة مدينة تلمسان وبلديات سبدو والرمشي وندرومة ليتم إلقاء القبض عليهم، (أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، 2008، صفحة 374) وأوردت صحيفة صدى وهران l'Echo d'Oran سنة 1912 التي أجرت تحقيقاً حول الهجرة أن 1200 شخص غادر تلمسان من ضمن 25000 من مسلمي المدينة، (Echo d'Oran، 1911 ويذكر شارل أندري جولييان أنه في سنة 1911 عزم 800 ساكن من تلمسان على مغادرة المدينة للاستقرار بسوريا. (جولييان، 1976، صفحة 127)

إن البحث عن أسباب هجرة أهالي تلمسان عميق جداً، ولم تكن قضية التجنيد الإجباري في ذلك إلا الشعرة التي قصمت ظهر البعير، بل إن أسبابها الحقيقية بعيدة وعميقة، تمس بالأساس علاقة فرنسا بالجزائر، وحتى بعض المؤرخين الفرنسيين في كتاباتهم اعترفوا بذلك، فمثلاً أجرون تحدث عن السبب المباشر للهجرة مبيناً أنه: "لما كان أهل تلمسان يسألون عن السبب كانوا يذكرون ضياع الأملاك الوقفية.. والعراقيل التي تعترضهم في تأسيس الجمعيات الثقافية، وكانوا يتأسفون لإحلال قضاة الأمن محل القضاة المتخصصين بشؤون المسلمين واستحداث محاكم قمعية..". (أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، 2008، صفحة 374) وأما عن وليام مارسي أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الشرعية بتلمسان فقد أعد في فيفري 1912 تقريراً عن أسبابها إذ يقول: "كان يتعرض لها التلمسانيون -يقصد الإهانة-، أولئك الحضر البسطاء والمتدينون...، والعاشقون لمدينتهم التي أعاد رسمها مسؤولو البلدية غير المتحفظين والمتطفلين لما قاموا بشقها بواسطة شارع جديد أطلقوا عليه اسماً مستقزلاً للمشاعر أوجين إيتيان.. لقد أقل نجم تلمسان وصار وضعها يبكي حجارة الشارع الصماء.. لا يمكن أن أقول أن السلطات الفرنسية المحلية، إما عن عدم اكتراث أو قلة فضول أو غياب تعاطف لم تكن على بصيرة أبداً... وفوجئت في نهاية المطاف باندلاع الألم الذي ظل مكبوتاً في الصدور..". (Exode، 1911، الصفحات 53-56)

هناك أسباب عديدة كانت وراء موجات الهجرة نحو المشرق أولها انعدام الحرية، بالإضافة إلى الملاح المضطهادية للحكم الاستعماري الفرنسي، هذا ما يتفق عليه جل المؤرخين الجزائريين، ويجب هنا الوقوف عند موقف أبو القاسم سعد الله الذي اعتبر أن الجامعة الإسلامية كانت سببا هاما في ظهورها واستمراريتها، كما بين بأن الرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر إلى ذويهم قد شجعتهم على الهجرة لما كانت تصف لهم الحرية والأخوة الموجودة في الشرق الأدنى. (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1992، صفحة 120)

## 7. خاتمة:

خلاصة القول أن واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر ومظاهر سياسته لم تختلف كثيرا من منطقة إلى منطقة أخرى، وما يلاحظ عليه في تلمسان أنه كان لها وضع خاص مختلف، فقد رأى المحتل أن سقوط الحكومة المركزية بمدينة الجزائر قد يعيد ويحيي من جديد العاصمة التاريخية لدولة بني زيان، وما حرص الأمير عبد القادر على الاحتفاظ بها وعدم التنازل عنها إلا دلالة واضحة عن مكانتها الروحية في دعم المقاومة الوطنية الشعبية، لذلك حرص الساسة الفرنسيون على تحطيم البنية الاجتماعية والسياسية التي كانت على مدى ثلاثة قرون متماسكة، إضافة إلى محاولتها القضاء على التراث الحضاري المتجذر منذ قرون طويلة الذي يمثل الهوية، باعتباره مرجعا لأي مقاومة عسكرية، أو حركة دينية، أو سياسية.

وبخصوص هجرة أهالي تلمسان نحو الخارج والنتيجة عن إقرار قانون التجنيد الإلزامي مرده إلى تمسك وتعلق أهالي تلمسان بهويتهم العربية الإسلامية، فالهجرة آنذاك كانت الحل الوحيد المتوفر للأهالي للتعبير عن رفضهم تجنيد أبنائهم في صفوف الجيش الاستعماري، وبالتالي تلقى الساسة الفرنسيون خيبة أمل كبيرة من فرض هذا القانون الذي رفضته الأسر والنخب المحافظة.

8. قائمة المراجع:

باللغة الأجنبية:

1. Abadie, L. (1994). *Tlemcen au passé retrouvé*. . France: Jacques Gandini.
2. Bulletin de l'Académie d'Alger. ( Novembre 1957). Enseignement du second degré.. *Bulletin de l'Académie d'Alger*(1).
3. Béchaud. (1913). la Population de l'Orani. *Bulletin de la société de Géographie de la province d'Oran*(33).
4. Brochier, A. (1937). *Livre d'ore de l'Algérie dictionnaire des personnalités passées et contemporaines-1937*. Alger: Imp Baconnier frères.
5. Brosselard, C. (1860). Les Inscription Arabes de Tlemcen. *Revue Africaine*(22).
6. Cardonne, P. (Sd). *Quelques Not sur Tlemcen et sa région*. Oran: Société Anonyme Des Papeteries et Imprimeries. L. Fouque.
7. Dictionnaire. (S.D). *Dictionnaire des communes de l'Algérie –Villes, Villages, Hameaux, Douars, Postes Militaires, Bordjs, Oasis, Caravansérails, Mines, Carrières, Sources Thermales et Minérales*. Alger: Pierre Fontana.
8. Echo d' Oran. (1911). *Echo d'Oran*.
9. Francis, L. (1948). *Nemours Djemâa-Ghazaouât Monographie Illustrée*. Alger: Achevé d'Imprimer sur les Presses de la Typo-Litho et Jules Carbonel.
10. *Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie 1892*. Alger: Imp Pierre Fontana.
11. l'Exode .(1911) .*l'Exode de Tlemcen en1911. Rap sur l'Exode de Tlemcen* . oran: Centre d'informations et d'études.
12. Lecocq, A. (1936). L'occupation de Tlemcen en 1836. *Revue Africaine*(79).

13. Lecocq, A. (1941). *Histoire des Débuts de la Colonisation dans la Subdivision de Tlemcen 1842-1870* (Vol. 1). Oran: Société Anonyme des Imprimeries et Papeteries L. Fouque.
14. Marçais, W. e. (1903). *les Monuments Arabes de Tlemcen*. Paris: Ancienne Librairie Thorin.
15. Pellissier, D. R. (1836). *Annales Algeriennes* (Vol. 1). Paris: librairies pour l'art militaire.
16. Réformes, D. d. (21 juin 1946). *la liste des écoles primaires pour les Français musulmans des départements d'Alger et d'Oran*. Consulté le mars 213
17. Roches, L. (1884). *Deux Ans à Travers l'Islam 1832-1864* (Vol. 1). Paris: Librairie De Firmin- Didot.

#### باللغة العربية :

18. إبراهيم مهديد. (2004-2003). مقاومة الجزائريين بالهجرة إلى الديار الإسلامية- عمالة وهران نموذجاً- . مجلة عصور (4-5).
19. ابن محي الدين عبدالقادر. (1998). *مذكرات الأمير عبدالقادر*. الجزائر: دار الأمة.
20. ابن يوسف تلمساني. (2005-2004). *التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870*. جامعة الجزائر: قسم التاريخ.
21. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. (1955). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى* (المجلد 6). المغرب الأقصى: دار الكتاب.
22. أبو القاسم سعد الله. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية* (المجلد 1). لبنان: دار الغرب الإسلامي.
23. أبو القاسم سعد الله. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900* (المجلد 1). لبنان: دار الغرب الإسلامي.
24. أبو القاسم سعد الله. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 7). الجزائر: دار البصائر.
25. أبو القاسم سعد الله. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 6). الجزائر: دار البصائر.

26. أحمد توفيق المدني. (1963). كتاب الجزائر. الجزائر: دار الكتاب.
27. إسماعيل الأحمر. (2003). روضة النسرين في دولة بني مرين. المغرب: المطبعة الملكية.
28. الحيلالي صاري. (2007). بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
29. أندري نوشي. (1984). الجزائر بين الماضي والحاضر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
30. بوعزة بوضرساية. (2004-2005). المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930. جامعة الجزائر: أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.
31. جمال قنان. (2009). نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
32. حمدان بن عثمان خوجة. (1982). المرأة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
33. خديجة بقطاش. (1999). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871. الجزائر: منشورات دحلب.
34. رابح تركي. (1981). الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
35. شارل أندري جوليان. (1976). إفريقيا الشمالية تسير - القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية -. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر.
36. شارل روبير أجرون. (2007). الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919 (المجلد 1). الجزائر: دار الرائد للكتاب.
37. شارل روبير أجرون. (2008). تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954 (المجلد 2). الجزائر: دار الأمة.
38. عبد القادر حلوش. (2010). سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.
39. عبد الجليل التيمي. (أبريل 1976). (أبريل 1976). "مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1831". مجلة الأصالة. ع32، الأصالة (32)، 31-45.
40. عبد الرحمان بدوي. (1993). موسوعة المستشرقين (الإصدار 3). بيروت (لبنان): دار العالم للملايين.

41. عبدالرحمان بن بوزيان. (12-13 ماي 2015). التنصير في الحواضر الجزائرية الكبرى واستراتيجيات المجابهة 1830-1954 -حاضرة تلمسان أنموذجا-. *الملتقى الثاني حول "التنصير في الجزائر الواقع التاريخي واستراتيجيات المجابهة"*، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة-: دار أمجد للطباعة.
42. مبارك بن محمد الميلي. (1986). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث* (المجلد 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
43. محمد خليفة. (2000). *الغزو الفرنسي للغرب الجزائري وانعكاساته*. مجلة المصادر (3).